سينما

فضاءٌ يواجه كورونا

بصريات تبتكر أماناً مؤقّتاً

تعرض فضائيات عربية مختلفة، منذ ايام قليلة، أفلاماً ومسلسلات أجنبية عدّة تلتقي كلّها في نوعي الخيال العلمي والفضاء الخارجي

نديم جرجوره

تُكثر فضائيات عربيّة عدّة عروضَ أفلامٍ خيالٍ علميّ وفضاءٍ خارجيّ في برامجها اليومية. الكثرة مُتزامنة وبدء مرحلة جديدة من سطوة كورونا على العالم، والمرحلة هذه موصوفة بأنّها الأخطر منذ بداية الصراع مع الوباء قبل نحو عام. غالبية الأفلام قديمة الإنتاج. تتفرّد «نتفليكس» ببعض الجديد، والجديد معقودٌ على أفلامٍ ومسلسلاتٍ.

يبدو هذا كأنّه تَوافُقٌ غير مباشر على أنّ الفضاء الخارجيّ «ربما» يكون أفضل، في لحظةٍ مصيرية صعبة يعيشها العالم حالياً. كوكب الأرض يعاني أزمةً، لن يكون خطأً اعتبارُها أزمة وجود، فكثيرون يرونها الأسوأ منذ سنين عدّة.

المشتركات بين الخيال العلمي والفضاء الخارجيّ كثيرة. أفلام الفضاء الخارجي تكون إجمالاً أفلامَ خيالٍ علمي (مع استثناءات لها علاقة بتاريخ وعلم غالباً). أفلامُ الخيال العلمي لن تحتّاج دائماً إلى الفضاء الخارجي. غالبية أفلام النوع الثاني تحتاج إلى مفردات النوع الأول وتقنياته ومناخاته وجمالياته البصرية، لتحقيق إنتاجاتٍ، لن تخلو من أسئلةٍ تتعلّق بالحياة والموت والمجهول والتحدّي والمغامرة والعلاقات وآليات العيش، والبحث عن منافذ خلاص. تتعلّق أيضاً بكائناتٍ أخرى تُقيم في كواكب أخرى، وبمدى إمكانية التواصل معها، وبمدى تقدّمها (أو تأخّرها، وهذا نادرٌ جداً في تلك الأفلام) عن البشر الأرضيين.

يُقال إنّ الغزو السينمائيّ للفضاء الخارجيّ، وبعضه يبلغ المرّيخ ويُقيم فيه، كـ«المرّيخي» (2015) لريدلي سكوت، غير ملتزم تقنيات الخيال العلمي دائماً. الفضاء الخارجي، بكواكبه الأقرب إلى الأرض على الأقلّ، يمتلك مقوّمات يُدركها العلم البشري، ما يجعل تفاصيل كثيرة في أفلام الفضاء الخارجي واقعية، إلى حدّ كبير. السينما، لشدّة تحرّرها من كلّ علم أو معرفة أو واقع، ومن كلّ مسألة مقبولة أو ذات مصداقية، تقول أحياناً بصوابية أمور، لن يتأخّر العالم كثيراً عن تأكيدها (الصوابية). هذا مقابل إخلال السينما، أحياناً أخرى، بوقائع علمية جمّة، فالهمّ الأبرز لها كامنٌ في صُنع أفلامٍ تتفوّق على الخيال وتغلبه، وتحرّض على التفكير وتُثيره، وتحثّ على التأمّل وتُسرف فيه، أو تكتفي بتسليةٍ وتشويق لن يخلُوَا من عِبَر. فهوليوود «تُمرّر» دائماً رسائل متنوّعة عبر أفلامٍ كثيرة، أيّاً يكن نوع الأفلام والرسائل.

من «المريخيّ» إلى السلسلة السينمائية «المُذهِلون الأربعة (Fantastic Four)»، خصوصاً الحلقة الأولى منها (2005) لتيم ستوري (اكتشاف «مكان») آخر في زمن آخر خارج الأرض وأزمنتها، يمتلك مقوّمات مُذهلة لقوة غريبة تحوّل شبّاناً إلى كائنات بشرية، تختلف كثيراً عن البشر العاديين)، هناك ما يدفع إلى اختيار أفلام كهذه لعرضها في لحظة إعادة الإقفال العام في بلدان عدّة، معظمها أوروبي، وبعضها القليل عربيّ، ولبنان أحدها. «نتفليكس» منصرفةٌ إلى هذا النوع أيضاً، مع آخر إنتاج سينمائي حديث لها بعنوان «سماء منتصف الليل» (2020) لجورج كلوني، تمثيلاً وإخراجاً وإنتاجاً («العربي الجديد»، 13 يناير/ كانون الثاني 2021).

هيلاري سوانك في Away: أسئلة كثيرة (العربي الجديد)

أسئلة الحياة والموت والمجهول والبحث عن منافذ خلاصٍ

للمنصّة نفسها سلسلة تلفزيونية بعنوان Away (موسم واحد، 10 حلقات، 2020)، لمبتكرها أندرو هندرايكر، مع هيلاري سوانك («العربي الجديد»، 30 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020).

هناك أيضاً السلسلة التلفزيونية «الأول (The First)»، لمبتكرها بو ولمان، إنتاج المنصّة الأميركية «هولو»، تمثيل شون بن وناتاشا ماكإلون في الدورين الأولين (موسم واحد، 8 حلقات، 2018)؛ والفيلم السينمائي «الرجل الأول» (2018) لداميان شازيل، وفيه يؤدّي راين غوزلينغ دور نِل أرمسترونغ. التنويع واضحٌ: سلسلة تلفزيونية تتابع أول رحلة للإنسان إلى المرّيخ، وفيلم سينمائي يروي سيرة أول إنسان تطأ قدماه سطح القمر (رحلة «أبولو 11»، 20 يوليو/ تموز 1969، بعد 4 أيام فقط على بدء الرحلة). البحث عن مُقوّمات حياتية للبشر في كواكب أخرى إحدى ركائز «سماء منتصف الليل»، بينما تخوض هيلاري سوانك أكثر من تجربة في وقتٍ واحد: امرأة تقود رحلة فضائية إلى المرّيخ (أيضاً)، واكتشاف هذا الكوكب الأقرب إلى الأرض، وأسئلة العائلة والأمومة والغياب والمغامرة والتحدّي.

هذا ليس نقداً. وفرة أفلام ومسلسلات أميركية، في لحظة انعدام كلّ أمان في الأرض، مُثيرة للانتباه. ربما يُحال هذا إلى برمجة غير مقصودة. لكنّ أحد أسباب بحث الإنسان، سينمائياً وتلفزيونياً، عن بديلٍ للأرض، يهدف إلى اكتشاف وتأمين بديلٍ آمن عن خراب الأرض. بحثٌ يعود إلى سنين ماضية كثيرة، تسبق تَمَكّن البشر من بلوغ القمر نهاية ستينيات القرن الـ20، بانتظار تمكّنهم الفعلي من بلوغ المرّيخ. انعدام كلّ أمان على الأرض قديم أيضاً، وكورونا يجعله أقوى وأخطر، وأكثر إثارة لقلاقل ومخاوف وارتباكات.

اللجوء التلفزيوني إلى الخيال العلمي والفضاء الخارجي، أفلاماً ومسلسلات، يُشير إلى رغبةٍ في أمان «متخيّل» (رغم إمكانية المتخيّل في أنْ يكون واقعياً، ذات يوم)، وإلى غلبة أمانٍ كهذا على اضطرابٍ أرضيّ، غير معروفٍ زمن انتهائه.

«غرباء تماماً» عربياً: بانتظار الجديد

يُتوقّع البدء قريباً بتنفيذ مشروع سينمائي عربي جديد. مشروعٌ يُثير رغبة في المتابعة، بسبب انبثاقه من إنتاج مشترك بين جهات لبنانية ومصرية، ما يعنّي أنّ سؤال الإنتاج العربي العربي المشترك يُطرح مُجدّداً، انطلاقاً من التجربة التي يُنتظر تحقّقها لمعاينة نتيجتها. مشروعٌ يستعيد مسألة حسّاسة في الاشتغالات السينمائية العربية: الإنتاج العربي العربي المشترك. فالمشاريع السينمائية المُنتجة عربياً، بين دول وجهات إنتاجية مختلفة، نادرةٌ. مهتمّون بصناعة السينما العربية يتساءلون مراراً عن سبب غياب إنتاج كهذا، رغم مشاركات عربية مختلفة في إنتاج أفلام، أو في تمويلها، وبعض التمويل منحٌ يُقدّمها هذا المهرجان أو ذاك، باسم شركات وجهات عدّة.

في 2 فبراير/ شباط 2021، يبدأ تصوير فيلمٍ سينمائيّ جديد (لم يُذكر عنوانه لغاية الآن)، يُعتَبر النسخة العربية من الفيلم الإيطالي Perfect Strangers (يُمكن ترجمته إلى «غرباء تماماً» أو «غرباء بالكامل» أو «غرباء مثاليون»)، لباولو جينوفيزي، الفائز بـ«جائزة نجيب محفوظ لأفضل سيناريو»، في الدورة الـ38 (15 . 24 نوفمبر 2016) لـ«مهرجان القاهرة السينمائي الدولي». والجائزة موزّعة على كتّابه، وهم، بالإضافة إلى جينوفيزي: فيليبّو بولونيا وباولو كوستيلا وباولا مامّيني ورولاندو رافيلّو.

استعادة سؤال الإنتاج العربي المشترك ومناقشته

عادل كرم: غريبٌ بالكامل (أنور عمرو/ فرانس برس)

3 جهات عربية . دولية تشترك في إنتاجه: Front Row Filmed Entertainment (المدير التنفيذي اللبناني جان لوكا شقرا) و«أمباير إنترناشونال» (رئيسها اللبناني ماريو حدّاد الابن) و«فيلم كلينك» (المصري محمد حفظي). إعداد النص لغبريال يمين، بالتعاون مع وسام سُميرة، الذي سيتولّى الإخراج، والتمثيل معقودٌ على المصرية منى زكي والأردني إياد نصّار واللبنانيين نادين لبكي وعادل كرم وديامون بو عبّود وجورج خبّاز.

بحسب بيان صادر عن الجهات الإنتاجية الثلاث، تدور أحداث الفيلم في لبنان، في مرحلة «انتفاضة 17 أكتوبر» (2019) وتفشّي وباء كورونا. لكنّ الحبكة الأساسية لن تخرج على النواة الدرامية الأصلية للفيلم الأصلي: أصدقاء يلتقون في سهرةٍ يدعوهم إليها واحد منهم، ويتحلّقون حول طاولة عشاء، ويبدأون لعبةً يقترحها أحد المدعوين: وضع الهواتف الخلوية كلّها على الطاولة، وإتاحة الفرصة للجميع للاستماع على أي اتصال يرد على أي هاتف، ولقراءة الرسائل التي تصل إلى هذا الهاتف أو ذاك.

ما يبدأ لعبة وتسلية، يتحوّل لاحقاً إلى فخّ يقع الجميع فيه، فيُعرّيهم ويكشف المخبّأ فيهم، ويفضح المستور عندهم، وتهتزّ العلاقات، الزوجية والعاطفية بين ثنائيات مختلفة، بسبب أسرار مخفية.

في مقالة سابقة لي عن الفيلم الإيطالي، يرد ما يلي: «بفضل السيناريو، تتجلّى السخرية الكوميدية في صُوَر سينمائية جميلة، تستند إلى كتابةٍ تُعرّي وتفضح بهدوء خبيث، وبجمال درامي موارب، وتكشف أحد أسوأ مآزق الحياة العصرية، المتمثّل بالهاتف الخلوي، وبعلاقة الناس به، وبما يحتويه من أسرارٍ شخصية، تُخفي حقائق كثيرة عن مستخدميه، وعن سلوكهم وأسلوب عيشهم» («العربي الجديد»، 5 ديسمبر/ كانون الأول 2016).

نديم...

أقوالهم

لم يتغيّر شيءٌ منذ ثمانية عشر عاماً بخصوص عنف الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، الذي وثّقه فيلمي الوثائقي «جنين.. جنين». لم يتغيّر شيءٌ. الاحتلال أسوأ مما كان عليه في عهد أرييل شارون، فبنيامين نتنياهو أكثر تطرّفاً من سلفه، وأكثر منه كراهيةً للعرب.

محمد بكري

يملك Soul لبيت دوكتر (الصورة) أطواراً عدّة: كلاسيكي كما يليق بفيلم هوليوودي قديم، وفلسفي يُحفّز على التفكير، وآسر بصرياً بأفكتراحات مبتكرة، ومربك أيضاً. يتأمّل في الحياة الآخرة، ويناور مع المراجع الدينية بمهارة، ويتكئ في ذلك على الإيديولوجيا الإنسانية لفرانك كابرا. هذا كلّه مُقدَّم في عرضٍ بصري، أرضيته ومبتغاه جمالية، مع توسيع حدود الجودة المعهودة لإنتاجات «بيكسار».

محمد صبحي

أفعالهم

Outside The Wire لمايكل هافْستروم، تمثيل **أنتوني ماكّي** (الصورة) ودامسن إدريس: بعد مخالفته أمراً عسكرياً مباشراً، تؤدّي (المخالفة) إلى مقتل جنديين أميركيين أثناء معركة حامية، يُكلَّف قائد طيارة «درون» بمراقبة منطقة عسكرية نائية. هناك، يعمل بإمرة ضابط «أندرويد» يعمل على تحديد موقع أجهزة تقنية متطوّرة جداً للاستيلاء عليها قبل وقوعها في أيدي الأعداء.

I'm Your Woman لـ **جوليا هارت** (الصورة)، تمثيل راشيل بروسناهان ومارشا ستفاني بلايك: بعد أعوام من حياة هادئة ومسالمة، تجد جاين نفسها في مأزق خطر، يدفعها إلى الهروب برفقة ابنتها الصغيرة. والهروب يؤدّي بها إلى الغرق في عالم الجريمة، بعد خيانة زوجها مع زملاء له يريدون الانتقام منه.

أخبار

◆ تُنتج «آبل» فيلماً جديداً لريدلي سكوت بعنوان «كيتاغ»، يتناول مفاصل عدّة من سيرة حياة نابليون بونابرت، الذي يؤدّي دوره فيه الممثل الأميركي واكِن فينيكس. وبحسب معلومات صحافية مختلفة، فإنّ المفاصل المختارة للفيلم تحدث قبل أنْ يُصبح بونابرت إمبراطوراً، وتروي مسار ارتقائه السلطة «من خلال علاقته بجوزفين، التي تُصبح زوجته عام 1796»، بحسب بيان لـ«آبل»، لم يُعلن موعد عرضه، مكتفياً بالقول إن السيناريو لديفيد سكاربا. أضاف البيان أن سكوت سيعود، بمشروعه الجديد، إلى الحقبة التاريخية التي تناولها في فيلم له بعنوان The Duellists، المنجز عام 1977 (تمثيل هارفي كيتل وكيث كارادين)، الذي فاز بفضله بجائزة أول عمل في الدورة الـ30 (13 . 27 مايو/ أيار 1977) لمهرجان «كانّ» السينمائي. يُذكر أنّ «آبل» أنتجت «تشيري» للأخوين أنتوني وجو روسّو (يبدأ عرضه في 12 مارس/ آذار المقبل)، وتعاقدت مع مارتن سكورسيزي على إنتاج Killers Of The Flower Moon، العائد إلى عشرينيات القرن الـ20، لمواكبة مسار التحقيقات التي قام بها FBI في جريمة قتل أفرادٍ من قبيلة «أوزاج» في منطقة «أوزاج . أوكلاهوما»، بعد اكتشافهم البترول في أراضيهم. بحسب تقارير صحافية، فإنّ ميزانية هذا المشروع تبلغ 200 مليون دولار أميركي.

◆ ذكر تقرير لوكالة «فرانس برس»، منشور قبل أيام قليلة، أنّ إيرادات الأفلام الفرنسية سجّلت تراجعاً كبيراً عام 2020، بسبب كورونا، ما أتاح لروسيا أن تتبوّأ صدارة البلدان الأكثر متابعة للسينما الفرنسية. واستقطبت الأفلام الفرنسية 13,7 مليون مُشاهد في العالم، في مناطق وفترات كانت صالات السينما فيها مفتوحة، في ظلّ انتشار كورونا، بحسب بيان لشركة «يونيفرانس»، المكلّفة الترويج للفنّ السابع الفرنسي في العالم، نقلت الوكالة مقتطفات منه. ويعكس الرقم تراجعاً بنحو 70 بالمئة، مقارنة مع عام 2019، كما تراجعت الإيرادات بالنسبة نفسها مُسجّلة 86,6 مليون يورو فقط. أضاف تقرير الوكالة أنّه «في غياب النجاحات الضخمة، تخطّى فيلمان فرنسيان فقط، عام 2020، عتبة مليون مُشاهد في الخارج، منذ إطلاق عروضهما في الصالات، مقابل 7 أفلام عام 2019». والفيلمان هما: Portrait De La Jeune Fille En Feu لسيلين سياما، الذي شاهده مليون و470 ألف مُشاهد خارج فرنسا، و«أنّهم» لرومان بولانسكي، الذي شاهده مليون و410 مُشاهدين.